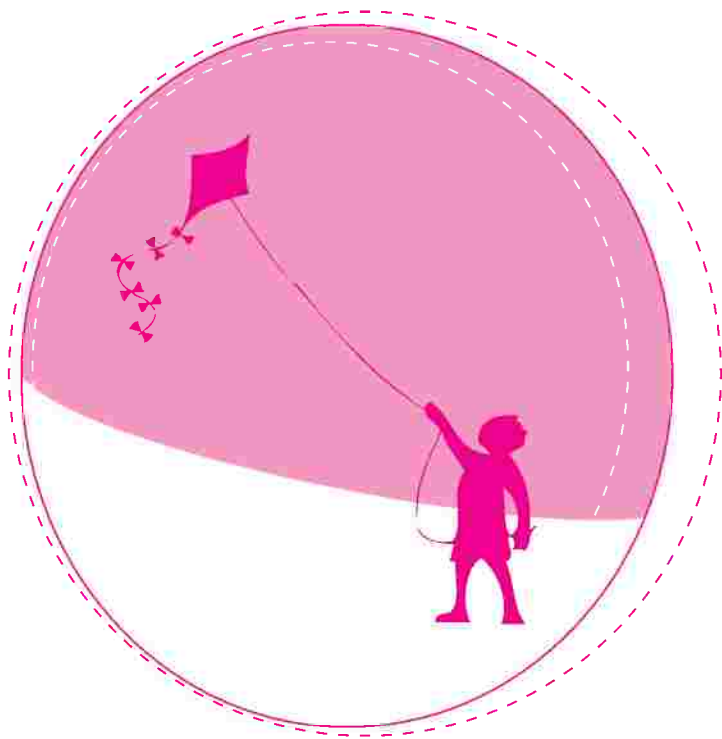




الفصل الرابع: القُدوة

القُدوة كَأَسْلُوب أمثل لتوجيه السلوك



لأهمية القدوة في توجيه السلوك و مكانتها في الإسلام يتم عرضها بإسهاب. ترتبط القدوة بمبدأ التمثيل، والتمثل هو أسلوب للتمكن من العالم الذي يحيط بنا بتقليد كلام الغير أو سلوكه.

ويبدأ الطفل الصغير عادة بالتمثل بوالديه، او ولى الأمر لارتباطه بهما عاطفياً، و كلما كبر زاد تعرفه على راشدين يخلصونه. فيظهرون له أنماطاً من السلوك جديدة عليه، و يخلصونه بالحب و الحنان في آن واحد، فيقتدي بهم أو بالذين يشعر بأهميتهم، و تتسع دائرة معارف الطفل، فتتاح له فرص أكبر في مراقبة و تقليد أشخاص عديدين يقابلهم في حياته اليومية فيتمثل بهم أيضاً. و يدخل الطفل الروضة، و تصبح معلمته أحد هؤلاء الأشخاص المهمين بالنسبة له. و كثيراً لا تدرك هي و لا غيرها من الراشدين هذا الدور الحيوى الفعال الملقى على عاتقها، فتفاجأ بتقليد الأطفال لها كلاماً و سلوكاً، و أحياناً كثيرة منطقاً و يستشهدون بأفعالها و أقوالها عن محبة و انتماء و ثقة. من هنا تنبع المسؤولية و الخطورة في دور القدوة، و أهمية وضح رؤية المربية لها و التقيد بأصولها.

"و قد ظهرت أبحاث في العقدين الأخيرين تثبت صحة و أهمية النظرية التربوية الإسلامية، التي تدعو للاهتمام بالقدوة كَأَسْلُوب تربوي. فقد كانت نظرية القدوة آنذاك تمثل جملة الأفكار المتناسكة التي ذكّاهما الدين و العقل و الخبرة الإنسانية"⁽¹⁾. أما الأبحاث الحديثة فأوضحت أن اقتباس السلوك الاجتماعي الايجابي أو السلبي، ينتج عن مؤثرات خارجية مرتبطة بعواطف الطفل و أحاسيسه و تساعد هذه المؤثرات على تنشئته، فتعطيه الأمثلة المطلوب منه الاقتداء بها. و فحوى هذه النظرية أن الطفل هو يقلد سلوك البالغ أو كلامه، يتلقى تشجيعاً منه أو تعزيراً يبدو له بشكل مكافأة معنوية، فالبالغ يتسم للطفل، أو يربت على ذراعه تشجيعاً له، عندما يقلد السلوك المرغوب فيه و المرضي عنه، فيتكون سلوك الطفل حسب القدوة التي سيقبليها متعاونة كانت أو عنيفة، و تؤثر عليه في صغره و كبره، و يعتبر هذا حلقة مفرغة إذا بدأت

(1) د. محمود قمبر، تربية ما قبل المدرسة في التراث العربي الإسلامي.



يصعب انتهاؤها. ويتمسك الطفل بالسلوك المطلوب، ويحافظ عليه عندما يتعلم أن هذا السلوك يؤدي إلى نجاحه، ويظهر قدراته و إذا أعجب الكبار وأثنوا عليه يكرره مراراً حتى يصبح جزءاً منه، وقد كان ذكر علماء المسلمين لهذه النظرية واضحاً في كثير من كتاباتهم وتوجيهاتهم، فمثلاً روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان دفع ولده إلى معلم، وقال له: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بُنى إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت".

و قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب - آية ٢١.

وقال السيد المسيح (عليه السلام): "إن الدين بما تعمل لا بما تعلم".

❖ مفاهيم مرتبطة بالقدوة

*** أولاً:** ترتبط عملية تقليد السلوك ومحاكاته، بالعاطفة التي يكنها المقلد لمن يقلده.

يفسر ذلك من أصول الإسلام، وعلم نمو الطفل معاً، فالطفل الذي يعامل برفق ورحمة يرتبط عاطفياً بمصدر الحنان عنده، ويتبعه كظله يقلده في مشيته و سكونه و كلامه و سلوكه، قال الله تعالى يصف نبيه الكريم: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران - آية ١٥٩)، وقال تعالى في وصفه لمن اتبع دعوة المسيح ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ (سورة الحديد - آية ٢٧) وهذا أسلوب تعامله مع الناس وهم بالغون، فما بالناس الذين نتعامل مع الأطفال؟ وقد روى مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي، حدث يوماً فقال "بينما أنا أصلي مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرجني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أماء! ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى عليه الصلاة والسلام فبأبى هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما هنري ولا ضربني ولا شتمني، إنما قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن".



لذلك كان رسول - صلى الله عليه و سلم - حبيباً إلى قلب أُمته، قريباً منهم برحمته، معلماً في كيفية إصلاح الخطأ، فكانوا يقتدون بأسلوبه، و بما يتضمنه حديثه من معان.

*** ثانياً:** أن يكون الفعل مطابقاً للقول، إن المعلمة القدوة تُعبر عما تُوقن به قولاً و عملاً، لتعمل حسب أقوالها و مبادئها و تعيش مبادئها، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قبل أن يأمر الناس بأمر و ينهاهم عن نهى، يجمع أهل بيته، و يقول لهم: "أما بعد، فإني سأدعو الناس إلى كذا و كذا، و أنهاهم عن كذا و كذا، و إني أقسم بالله العظيم لا يبلغني عن أحدٍ منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلت به نكالاً شديداً، ثم يخرج رضى الله عنه فيدعو الناس إلى ما يريد، فما يتأخر أحد عن السمع والطاعة".

و بناءً على ما سبق يُمكننا تقدير مدى جدية و مسئولية دور القدوة في توجيه السلوك، لذا يتوجب على من تُوجه سلوك الغير مراقبة سلوكها أولاً، و الاعتراف بينها و بين نفسها على الأقل بعيوبها و ضعفها، و العمل على تحسين قدراتها، و ضبط سلوكها بنفسها، و تحاول أن تكون القدوة المثلى.

إن المعلمة القدوة تحتاج إلى التّمثل بخلق الرسول القدوة صلى الله عليه و سلم وصحبه الأبرار رضى الله عنهم، فتكون على خلق رفيع حقاً، لأنها تتحمل مسئولية نشء تحاسب عليه في الدنيا و الآخرة. قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الصف ايه ٢-٣)، و قد قال أيضاً جل جلاله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة - آية ٤٤).

*** ثالثاً:** يقتدى الطفل بالراشد المتمكّن من عالمه، القادر على تسيير أموره بنجاح، فالقدوة شرطها أن يكون المُقتدى به مثلاً للخلق الرفيع، و قادراً على النجاح فيما يقوم به، هكذا كان موقف عمر رضي الله عنه عندما كان يبدأ بتطبيق كل ما يأمر الناس به على نفسه و أهل بيته، دقيقاً و شديداً على نفسه، حتى لا يرى الرعية فيه إلا القائد القدوة، فكان رحيماً على الضعفاء، جباراً على الظالمين، كان عمر قادراً على الوصول إلى غايته، فلم يكن يخاف إلا الله سبحانه و تعالى، فاستحق حب



الرعية وإعجابهم، و الطفل أيضًا يراقب معلمته، فيرى تَمَكُّنها و قدراتها، ورحمتها في أخلاقها فيقتنع بها و يتَّبِعها.

*** رابعًا:** إن ارتباط عملية التقليد بما يتَّبِعها من تشجيع فعال، يُعزز السلوك المرغوب، و يُشجع الطفل على إعادة السلوك الذي قام به إذا وُصف له بأنه سلوك إيجابي، فيعرف أنَّ ما فعله قد حاز الرضا من معلمته، أو من يهيمه من الراشدين حوله.

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تُؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، و لا تحُتُّ (يقع) ورقها فوقع في نفسى النخلة فكرهت أن أتكلَّمْ، و ثمَّ أبو بكر و عمر لم يتكلما، قال النبى صلى الله عليه وسلم هي النخلة، فلما خرجت مع أبي قلت يا أبتاه وقع في نفسى النخلة، قال: ما منعك أن تقولها لو كنت قلتها كان أحب إلى من كذا و كذا، قال: ما معنى إلا أنى لم أرك و لا أبا بكر تكلمتما فكرهت، " هذه الحادثة توصلنا إلى عده حقائق: عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما تمثل بوالده و أبى بكر، فلم يجب على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانا قدوة له. حين أعلم عبد الله والده بأنه كان يعرف الإجابة عن سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف أنَّ والده القدوة، كان يفضل منه الإجابة عن السؤال مادام عالمًا به. و كان عبد الله بن عمر أحد رواة الحديث في شبابه و رجولته، مما يدلُّنا على أنه حاكى الرجال الأفذاذ الذين تعلم منهم السلوك و القول و الفعل، و قد شجع عمر بن الخطاب ولده على السلوك الأمثل و دفعه إليه.

● الأبوان والمعلمة القدوة:

تحتاج كل أم و معلمة إلى تفهم معنى القدوة عمليًا لتُلم بكل ما يخص الموضوع فالمعلمة القدوة تعرف نفسها جيدًا إنسانيًا و مسلكيًا و تعرف أيضًا مواقفها و اتجاهاتها و تختار عن قصد اتخاذ القرارات بما يتناسب و إحاطتها بدقة لكافة الأمور من حولها فتكون صادقة مع نفسها و غيرها من معلمات و رئيسات و مرءوسات و أطفال و تكون ذات خبرة واطلاع، تُحسن التعبير بدقة عما يَجول بخاطرها تقتنع بالمساواة و العدل و تعرف حدود علمها و معلوماتها و عملها و تلتزم بذلك كما تعترف بأخطائها و تعتذر عنها.



والمعلمة القدوة ثابتة في اتجاهاتها وقيمها فيعرف أطفالها ما يتوقعون منها من يوم لآخر ويشعرون بالأمن والطمأنينة ويثقون بها والقدوة كلام يرتبط بالسلوك والعمل والمظهر ويعتمد على القلب والفكر.. فالمعلمة التي تقتنع في قرارة نفسها بالرفق على الحيوان ينعكس على أفعالها وإن لم تُفصح عنها فهي تضع للقطعة طعامًا كافيًا وتحمل القطعة برفق دون أذى ولا عنف وتُهيئ لها مكانًا مناسبًا للنوم. من كل هذا وذاك يعرف الأطفال حقًا أن معلمتهم لا تخاف من القطة ولا تكرهها فيقلد عدد كبير منهم أفعالها أو يُحاولون على الأقل

إن المعلمة القدوة تراعي شعور أطفالها وتحترم حاجاتهم فتُعد لهم ما يُحبون وتبتعد عما يكرهون من أنشطة وخبرات وتقدم لهم بأسلوب مُشوق ما تُدرك فائدته من أنشطة مُعدة حسب ميولهم وتراقب الأطفال بدقة وتميز حاجاتهم الآنية لحظة إحساسهم بها، فتحتضن من تشعر بحاجته للمحبة وتُغير مكان من تشعر بأن وجوده سيسبب مشكلة له أو لغيره، وهكذا يرى الأطفال معلمتهم أمامهم مثالًا حيًا من الاهتمام بالإنسان ومراعاة شعوره فيُحاكونها ويتّثلون بها في تعاملهم مع بعضهم.

• تراعى المعلمة مبدأ القدوة مع أطفالها مظهرًا وعمقًا حسب النواحي التالية:

• يقلد الأطفال المعلمة في التعامل والتواصل مع الآخرين كبارًا وصغارًا مثلاً:

- تعطي المعلمة لأطفالها وقتًا لتستمع إلى حديثهم.
- تطلب المعلمة بأسلوب مُهذّب ولطيف من أطفالها وزميلاتها والعاملات في روضتها أو مديرتها وزائراتها مساعدتها في إعداد أو تنفيذ نشاط ما.

• يقلد الأطفال المعلمة في التعامل مع الأشياء من حولهم، مثلاً:

- تحافظ المعلمة على جهاز التسجيل في صفها فتضع فوقه غطاءً بعد استعماله.
- تتناول المعلمة اللعبة من رف الألعاب بكل عناية وتضعها على طاولة ألعاب التركيب فتفك أجزائها قطعة قطعة وتبدأ بتركيبها.

• يقلد الأطفال المعلمة في الملبس، مثلاً:



- ترتدى المعلمة ثياباً عملية المظهر واسعة وبسيطة و سهلة الاعتناء بها في الروضة.
- تضع المعلمة لباساً فوق ثيابها عند استخدام الألوان، أو إعداد الطعام، أو أى نشاط يستلزم ذلك.

• يقلد الأطفال المعلمة في التمكن من المهارات، مثلاً:

- تتدرب المعلمة على إعداد معجون التشكيل (الصلصال) مسبقاً لتقوم بعمله أمام الأطفال بمهارة.
- تحكى المعلمة لأطفالها قصة من كتاب سبق أن قرأته أمامهم بأسلوب مُعبّر يُشَدُّ انتباههم.

• يقلد الأطفال المعلمة في أسلوب الحديث، مثلاً:

- تحدث المعلمة أطفالها بجديّة بصوت هادئ ثابت، واضح النبرات.
- تعطى المعلمة الأطفال الفرصة للتحدث معها في الصف مُستخدمة أسلوب الحوار المفتوح و تفسح المجال لكل طفل ليتعلم الإنصات لغيره و انتظار دوره ليقول ما عنده.

• يقلد الأطفال المعلمة في التعبير الصامت، مثلاً:

- توضح المعلمة بتعابيرها و حركات يديها و تحركها عن اهتمامها الحقيقي بكل طفل يتعلم في صفها، فتبتسم له و تدنو منه لتكون عند مستوى نظره، و تجلس بجانبه تربت على كتفه تشجيعاً له.

• يقلد الأطفال المعلمة القدوة في تطبيق القيم الدينية، مثلاً:

- تظهر المعلمة اهتماماً واضحاً بالطفل الغائب، فتسأل عنه و تجرب بقية الأطفال بمرضه، و تقدم لهم اختيارات من أعمال يمكنهم القيام بها كمجموعة واحدة للسؤال عنه، والاطمئنان عليه، وتقديم هدايا من صنع أيديهم لاطهار مشاركتهم المعنوية له.

- تُعد المعلمة رُكنًا في مكان بارز بالصف تعرض فيه انتاج الأطفال نتيجة أعمالهم الحرة، وإبداعهم في الصناعات اليدوية. تعلق رسوم الأطفال على لوحة واسعة



- مثبتة على حائط وتُدوّن تحت كل رسم اسم الطفل على بطاقة واضحة، أو تعرض على طاولة نظيفة مغطاة بمفرش جميل ما قام الأطفال بصنعه بشكل لافت للنظر، وتسجل بجانب كل إنتاج اسم الطفل الذى قام به.
- المعلمة لا تكذب فى شيء حتى لا يتعلم الأولاد الكذب.
 - المعلمة تهتم بتنظيف أسنانها حتى يهتم الأطفال بتنظيف أسنانهم.
 - المعلمة لا تلقى بالأوراق أو المخلفات على الأرض حتى لا يقلدها أطفالها.
 - المعلمة لا تتلفظ بالألفاظ النابية.
 - المعلمة لا تطيل الحديث مع زميلاتها و تترك الأطفال حتى لا تقع المشاكل السلوكية بينهم.
 - المعلمة تُسامح الطفل إذا أخطأ (بعد التحذير) حتى يتعلم الأولاد التسامح والعفو.

